

رأي صريح في العراق وطننا

كتبه: صلاح شوان

العراق الحالي امر واقع مفروض رسمها الاستعمار الانكليزي عن سبق اصرار وترصد خبيثين، وبعد ا يقارب قرنا من الزمان، يعود التساؤل عن تماسك هذا الكيان المشوه الى البروز بقوة، فالحرية التي اتاحها الاحتلال الامريكي فسحت مجالا واسعا لاعادة تجربة صلاحية هذا الكيان الاجباري المفروض على كل المكونات البشرية العراقية، والازمات التي تمر بها العراق اكبر وقوى من كل القدرات السياسية العراقية والعربية وحتى الامركية والعالمية، وهي ليست ازمات مفتعلة لغرض في نفس يعقوب او عم سام، بل هي اصيلة متأصلة في التكوين يسمى بالعراق.

العراق جغرافيا، وليس وطننا.

والعراقيون شعوب وقبائل، وليسوا امة.

فالعربي العراقي جزء لا يتجزء من الامة العربية وهو مرتبط ماديا ومعنويا بامتته، ماديا: هو امتداد طبيعي للاراضي المتصلة به شرقا وغربا وجنوبا، وهو متصل اصولا ولغة وتراثا وتاريخا ودينا ومشاعرا وكل الروابط التي تقوم الامة او الشعب الواحد.

والشعب الكردي ضمن جغرافية ما يسمى بالعراق كذلك جزء من الامة الكردية ويرتبط بامتته شمالا وشرقا وغربا جغرافيا واصولا ولغة وتاريخا ودينا ومشاعرا وطبائع واقتصادا وكل الروابط التي تقوم الامة او الشعب الواحد.

وكل منهما يقيم على ارضه التاريخية منذ آلاف السنين، وهما لم يندمجا حتى اليوم في اي من تلك المقومات عدا الكيان السياسي الممسوخ الذي اجبروا على الاشتراك فيه عنوة وخبثا، فهما لا يشتركان في اية اولويات، فلا هما يشتركان في اللغة ولا المشاعر ولا التاريخ ولا الدين ولا الطبائع ولا الاقتصاد ولا هم يحزنون.

فالعرب العراقيون ساميون عرب (او مستعربون) مسلمون اندمجوا كليا في الكينونة العربية الاسلامية ولا يختلفون عن اي عربي اخر في العالم تواملا وتفاهما وتوجها مستقبليا، والتاريخ العربي الاسلامي بالنسبة للکرد تاريخ احتلال وارضاخ واجبار لا يعترف به عن طيب خاطر او قناعة، بل رغما عنه وتسليما بامر واقع مفروض الى حين تكون الفرصة متاحة امامه للاستقلال، والتاريخ العربي الاسلامي بالنسبة الى الكرد ليس اكثر مما هو بالنسبة الى الترك او الفرس باي حال من الاحوال، ان لم نقل انها اقل بكثير الكثير من ذلك الشعبين، لسبب بسيط هو انهما استخدمتا الاسلام لصالحهما للسيطرة على الشعوب الاخرى ومنها العربية الصاحب الاصيلي للديانة المذكورة، بينما لم يفعل الكرد ولا في نيته ان يفعل، والشعب الكردي من اصول مختلفة جذريا عن الاصول العربية السامية، فهو آري اقرب الى الفرس او الهنود او الانكيز او الامان منها الى العرب، ولم يستعرب او يستعرب كغيره لا شعبا ولا ارضا، وحتى دينه الزرادشتي مازال حيا يرزق محتفيا تحت عباءة الاسلام خوفا من البطش الاسلامي غير المتسامح معه، والشعب الكردي مازال يحتفظ كذلك بحلمه الكردي الكبير في اقامة دولته القومية على ارضه التاريخية كباقي شعوب الارض متى ما سنحت له الفرصة في غفلة من جيرانه المحتلين الالقاء، فهل يمكن ان تستمر الترفيع والتركييع والمخادعة والاجبار الى الابد، دون امكانه تحقيق حلمه التي لم يزدده الزمان الغدار الظالم الا تماسكا وحياة وتجسيدا؟ وهل ستستقيم امور شعوب جيرانه المحتلين باجباره على الرضوخ لكياناتهم المصطنعة التي افتعلها الاستعمار الانكليزي الخبيث لابقاء المنطقة مرتبكة غير مستقرة في انتظار فرصة اخرى للتدخل والاحتلال والاستعمار؟ لماذا لا يريد الشعوب المحتلة لارض كردستان وشعبها الاستقرار لانفسهم ولجارهم الطيب الودود والمتماسك الاصيل العصي على الانصهار والذوبان؟ فالبشرية تجاوزت القهر والوحشية او هي في طريقها اليها، ولم يعد الاحتلال والقهر الا وبالا على كل اطرافها فاعلين ومفعولين.

لم تتبدل اولويات الكرد خلال نصف القرن المنصرم قيد انملة، رغم الفصل القسري الحديدي بين اجزاءها الخمسة المخضعة الى اقصى واشد الدكتاتوريات قهرا ودموية ووحشية للقوميات التركية والفارسية والعربية المحتلة، ولم تفتقر رابطة الدم بين الكرد المفصولين عن بعضهم البعض طيلة المدة رغم كل ئ وهي كثيرة لامجال للخوض فيها هنا، فالدول القومية للشعوب المحتلة ومنها العراق العربي فشلت في اقامة دول حديثة على اساس المواطنة والمساوات واحترام حقوق الانسان والاعتراف بالآخر وماتزال، ولم يكن الشعب من الشعوب الهشة لتستعرب مع المستعربين او تستترك للترك او تستفرس للفرس، بل بالعكس تماما زادته القهر والاضطهاد والتهميش ومحاولات الانصهار تماسكا وقوة واصرار، واليوم وقد غربت شمس الدكتاتوريات الحديثة عن البشرية بزوال الشيوعية عن العالم، تحاول هذه الشعوب الارتداد الى نوع قديم بالي فاشل من الدكتاتورية وهي الاسلامية للابقاء على كياناتها القومية المشوهة، لكن هيهات، لان الكرد لا يريدون الشراكة مع قوميات تلطخت اياديهم على مدى عقود او قرون بدماءهم وماتزال، ودون ان يكون من بينها حتى افراد تؤمن بوجود الكرد كقومية ذات خصوصيات عريقة غير قابلة للافناء...

المواطنة لاتستقيم الا في وطن طوعي مجمع عليه.
والعراق كيان مشوه كدولة الاتراك والفرس، لم ولن يجمع عليها اي من مواطنيها، العربي يريد العراق عربيا، والشيعي يريد العراق شيعيا توأما للشيعية الايرانيين عربا اهوازيين كانوا ام فرسا اوسطيي ايران، والسنة يستقون بالعرب السنة لارضاخ الاخرين، والترکمان يريدون اقامة دولة تركمانستان رقم 2، او يريدون على الاقل عراقا تابعا للامبراطورية العثمانية التي كانت الرجل المريض وانتقل الى رحمة الله منذ زمان، والترکمان في العراق اقلية ضئيلة غير مرتبطة جغرافيا فيما بينها، وهم وافدون جدد لا جذور لهم في الارض ويعيشون على ارض كردستان التاريخية وولاؤهم لاتاتورك ودولته القومية التركية اكثر من اي ولاء آخر، ولو كانوا على ارض ملاصقة لدولة الاتراك لكانوا قد التحقوا بها منذ امد بعيد، وهم يدعون اليوم العراقية على عناد الكرد وليس حبا بالعرب، وهم في ذلك انما يعملون على مناصرة ستراتيجية دولتهم الام في منع الكرد من اقامة دولته الشرعية القومية وابقائه مقسما على دول القوميات الترك والفرس والعرب المحتلة لارض كردستان، حالهم في ذلك الى حد اقل كحال الكلدانيين والاشوريين المتضائلين الذين انصهروا في العرب والاسلام بعد ان كانوا اصحاب امبراطوريات...

وبعد ثلاث سنوات من الحرية الاحتلالية والديمقراطية الغربية العجيبة، ينبري احد المسؤولين العرب بالمطالبة برئيس جمهورية عربي، لان العراق عربي، ولتذهب المواطنة العراقية للكرد والترکمان والاشوريين والكلدانيين الى الجحيم، وهو محق في ادعائه، لان الشرق شرق، والموتنة مواطنة في تشكيلة الدولة الحديثة على الطريقة الغربية، التي فشل العراقيون في اقامتها لحد اليوم، بسبب التراث الاسلامي الميت الذي يرفض الفن

من ابتكار الغرباء المختلفين تماما الا في الشكل.

اين المفر؟

سيستمر العراق على ممسوخيته حتى تهدأ النفوس وتخدم العواطف الشرقية الجياشة وتنضج العقول، فيصبح كل قوم بما لديهم فرحون بعد عشرة من الاعوام او مائة او الف حسب تطور العقول .